

الثـلـاثـاء 16-08-2011

1446- تشكيل الوعي المصري الكوني الجديد (الجريدة 1)

أنهيت مقال الأسبوع الماضي بتساؤل يقول: هل تحتمل هذه الزاوية أن نبدأ بتقليل مفهوم الحرية الأسبوع القادم؟

"الفرض" الذي يشغلني بعد تعرف على معلم ثورة التواصل والمعلومات، هو أن العالم اليوم، خاصة الشباب، مشغول، قصداً، أو تطروا حتمياً، بتشكيل ما أسميته "الوعي العالمي الجديد"، في توجّه ضام، هذا إذا كان نقرفه. لم يعد الإعلام والتواصل حكراً على السلطات المركزية بتمويلاتها المشبوهة، وعلقتها الاحتكارية، أتصور أن ما يجري بين عموم الناس هو عملية تراكم وعي الأفراد فالمجتمعات فالمجتمعات، بدون حاجة إلى أحد إذن الحكام ومحكري الإعلام المالى المركزى السلفوى، إن ما حدث منذ 25 يناير هو جزء من هذه الثورة العالمية، حتى لو كنا نلعب مع المزركين المجهولين لعبه القط والفار، شريطة أن نكتب الدور في النهاية.

حين راجعت ما نشر هنا الأسبوع الماضي عن خبرة طفولي مع صدور "أخبار اليوم" التي ظهرت حين كنت أتابع بهامش وعيي أخبار الحرب العالمية الثانية يوماً بيوم، تأكّدت أن هذه التشكيل الجمعي الكونى الجارى حالاً ليس حرافية جديدة إلا فيما يتعلق بامتلاكتنا - خن البشـرـ - أدوات تواصل وإعلام لامركزية جديدة وفائقـةـ، وقد وعدت في نهاية المقال أن أفتح ملف "الجريدة" خاصة الكلمة تردد بتوتر غامر، وسهولة خيفـةـ، قلت ما دامت الحكاية قد بدأت عندي طفلاً، فلا بدـأـ مناقشتها من مدخل ما قدمت من أراجـيزـ للأطفال، وقد شجـعنيـ على ذلك تلك الأسئلة الذكـيـةـ التي طرحتـهاـ رئيسـةـ تحريرـبرـنامجـ "طعمـ البيـوتـ" وـمـقـدـمةـ فـقـرـتـىـ الخـاصـةـ فـيـ القـنـاـةـ الأولىـ السـيـدةـ الفـاضـلـةـ "ـمـهاـ حـسـنـىـ"ـ،ـ وـجـينـ وـصـلـىـ كـرـمـ ضـيـافـةـ الأـسـتـاذـ رـئـيسـ التـحـرـيرـ السـيـدـ النـجـارـ،ـ وـنـائـبـهـ الـاسـتـاذـ مجـدىـ العـفـيفـىـ،ـ قـلتـ نـنـتـهـىـ هـذـهـ الفـرـصـةـ وـنـسـاـهـ قـصـداـ وـعـلـىـ قـدـرـ المـتـاحـ فـتـشكـيلـ ماـ أـسـيـتـهـ "ـالـوـعـيـ الـمـصـرـىـ الـكـوـنـىـ الـجـدـيـدـ"ـ،ـ وـسـمـحـواـ لـأـنـ أـؤـكـدـ اـبـتـداءـ أـنـ أـتـكـلـمـ عـنـ "ـالـوـعـيـ الـعـامـ"ـ وـلـيـسـ عـنـ "ـالـرـأـيـ الـعـامـ"ـ وـلـاـ عـنـ "ـالـوـعـيـ الـعـالـمـىـ"ـ أـوـ "ـالـنـظـامـ الـعـالـمـىـ"ـ لـأـجـدـيـمـ وـلـاـ الـقـدـيمـ.

ولأنني لن أنقل نص الحوار (بالعامية) الذي دار في البرنامج سوف أتخيل شابة من شباب 25 يناير تناقشى ببدلاً من المقدمة الفاضلة، حتى لا أحراز في تقويلها ما لم تقله:

سألتني الشابة، مَاذَا تقصد بقولك في الأغنية

"الحرية إنك تقدر ترمي طوبتها" هل هذا معقول؟ كيف يكون الواحد حرًا لو استغنى عن الحرية هكذا؟

قلت لها: لو سمعت، نقرأها على بعضها، أكملي، قالت:

الحرية إنك تقدر ترمي طوبتها

لو مش قادر انك تحمل إلا خيبتها

قلت : إسعي يا ابني: أحيانا يخطر بي بالآمانة التي عرضها علينا السماء والأرض والجبال (وليس على الإنسان)، فأباين أن يعملنها وأشفقن منها، هي "الحرية"، لكن الإنسان تصدى لها وحملها، وأحياناً أخرى أتصور أنها القول الثقيل الذي ألقاه علينا نبياناً صلوات الله عليه، وهو يبضره بعبئه: "إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً"، ثم أتلف حول، قبل وبعد 25 يناير، وأتعجب من استشهاد استعمال لفظ الحرية بهذا الشكل، والتهليل لها، حتى تقديسها، وأدعوا الله أن تكون قدر حملها، وأن نتجاوز خيبتها كما قالـت الأغنية، إلى خيراتها، قالت الشابة: أنت بهذا تصعـب المسـأـلة وكـانـك تـلـوحـ لـنـاـ بالـتـنـازـلـ عنـ هـذـهـ الجوـهـرـةـ التـمـيـنةـ الـىـ عـثـرـنـاـ عـلـيـهـاـ،ـ فـنـعـودـ إـلـىـ مـاـ كـنـاـ فـيـهـ،ـ قـلـتـ لـهـاـ:ـ مـنـ نـصـنـعـ الـحـرـيـةـ صـنـعـاـ،ـ لـنـثـرـ عـلـيـهـاـ،ـ مـنـ دـفـعـنـاـ المـقـدـمـ غالـيـاـ وـعـلـيـنـاـ أـنـ نـوـاصـلـ دـفـعـ الـاقـسـاطـ،ـ إـنـسـانـ لـاـ يـكـونـ إـنـسـانـ إـلـاـ إـذـاـ كـانـ حـرـاـ،ـ وـلـاـ يـكـنـ أـنـ أـسـاـهـمـ فـيـ التـنـازـلـ عـنـ إـنـسـانـيـتـنـاـ خـوـفـاـ مـنـ خـيـبتـنـاـ،ـ إـنـ خـيـبتـنـاـ الـبـلـيـغـةـ هـيـ أـنـ تـلـهـيـنـاـ هـتـافـاتـ الـدـيـقـرـاطـيـةـ عـنـ أـنـ نـكـونـ أـحـرـارـاـ جـقـ،ـ إـنـ الـكـلـمـةـ تـرـدـ كـأـنـهـ إـلـانـ فـ"مـؤـلـ الـدـيـقـرـاطـيـةـ"ـ الـذـيـ اـفـتـحـتـهـ أـمـرـيـكـاـ مـؤـخـراـ فـالـشـرـقـ الـأـوـسـطـ الـجـدـيدـ،ـ وـكـانـ الـدـيـقـرـاطـيـةـ هـيـ مـرـادـفـةـ لـلـحـرـيـةـ وـدـمـتـ؟ـ قـالـتـ الشـابـةـ:ـ أـلـيـسـ هـيـ كـذـكـ!!ـ؟ـ،ـ قـلـتـ لـهـاـ:ـ "لـاـ طـبـعـاـ"ـ،ـ رـبـماـ تـكـونـ الـدـيـقـرـاطـيـةـ مـنـ أـهـمـ السـبـلـ الـتـيـ توـصـلـ إـلـىـ الـحـرـيـةـ،ـ لـكـنـهـ لـيـسـ كـذـكـ،ـ الـحـرـيـةـ أـعـقـمـ وـأـهـمـ وـأـلـزـمـ مـنـ الـدـيـقـرـاطـيـةـ خـصـوصـاـ إـذـاـ كـانـتـ الـبـيـضاـعـةـ الـمـعـرـوـضـةـ مـشـبـوـهـةـ،ـ أـوـ مـسـتـورـةـ مـضـرـوبـةـ،ـ قـالـتـ الشـابـةـ:ـ أـرـجـوكـ لـاـ تـصـعـبـهاـ حـقـ أـفـهـمـ،ـ قـلـتـ لـهـاـ،ـ وـهـلـ أـنـتـ أـقـلـ ذـكـاءـ مـنـ الـأـطـفـالـ الـذـيـنـ كـتـبـتـ لـهـمـ عـنـ ذـكـ؟ـ قـالـتـ لـأـعـرـفـ ،ـ وـلـكـنـ خـيـبطـتـنـيـ ،ـ

قلت ليكنـ،ـ وـلـنـلـقـ فـيـ الـأـسـبـوعـ الـقـادـمـ .